النهضة الحديثية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي (ت 1204هـ)

الطالب الباحث محمد الأجواد
إشراف الأستاذ الدكتور: ادريس أوهنا
مختبر العلوم الدينية والإنسانية وقضايا المجتمع
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، سايس
المغرب

مقدمة:

أحمدك ربي وأستعينك، وأصلي وأسلم على خيرة خلقك سيدنا محمد بن عبد الله، صاحب الرسالة، الذي اجتمعت فيه المعالم، واقترن اسمه باسم الحق سبحانه في أفضل مقالة، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن الاشتغال بالحديث النبوي الشريف، لا يرغب فيه إلا فحول الرجال[1]، الذين تمسكوا بالجد والاجتهاد، وترفعت أنفسهم عن سفاسف الأمور والأعمال، وتشبهوا في ذلك بخير القرون والأجيال، من خصهم الله سبحانه بصحبة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، فرفعوا راية السنة والحديث، وقدموها على كل كلام وحديث، حاشا كتاب الله عز وجل، لعلمهم أنه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى، بمقتضى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[2]، وبما ورد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص حيث قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ، حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: " اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ"[3].

فتصدر من الصحابة الجم الغفير لحفظ الحديث عنه صلى الله عليه وسلم، ثم حمله عنهم أئمة أعلام، وعلماء أفذاذ عدول، قاموا بما أوجب الله عليهم من التبليغ قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[4]. ورغبة منهم في الانخراط في عموم دعائه صلى الله عليه وسلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» [5].

ثم اتجهت همم السابقين للتصنيف، مخافة الدرس والنسيان. فكانت محاولات هنا وهناك، كان أهمها ابتداء من الإمام مالك إمام دار الهجرة الذي صنف الموطأ، جمع فيه بين الرواية والدراية، فرتبه على أبواب الفقه فبلغ في ذلك النهاية، فكان أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى[6]. وتنوعت مناهج المحدثين بعده في تآليفهم، فظهرت الجوامع، والسنن، والمسانيد، والمستدركات، والمصنفات، والمجاميع، منها ما أفرد الصحيح، ومنها ما أفرد الضعيف، ومنها ما جمع بينهما وساق لكل حديث سنده ليعلم حال صحته من ضعفه.

هذا ويمكن القول أن المغرب عرف نهظتين حديثيتين، الأولى في عصر يعقوب المنصور الموحدي. والثانية في عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله الحسني العلوي، وهذا ما سنحاول تجليته بمشيئة الله من خلال هذه الورقة البحثية.

❖ **عنوان الورقة:**

عنوان الورقة البحثية التي أقدم: (**النهضة الحديثية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي (ت 1204هـ)**).

❖ **خطة الموضوع:**

ففيما يخص المنهجية التي سلكتها لإنجاز هذا الموضوع، فقد قسمته إلى فصلين ومقدمة وخاتمة.

الفصل الأول: في ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وقسمته إلى خمسة مباحث.

المبحث الأول: اسمه ونسبه الشريف.

المبحث الثاني: مولده، وصفته، ونشأته.

المبحث الثالث: شيوخه.

المبحث الرابع: محبته للعلم والعلماء.

المبحث الخامس: وفاته.

الفصل الثاني: مظاهر النهضة الحديثية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي(ت1204هـ). وقد قسمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: تأسيس المجالس الحديثية.

المبحث الثاني: نشاط حركة التأليف الحديثي.

فأقول وبالله التوفيق:

الفصل الأول: في ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

المبحث الأول: اسمه ونسبه الشريف:

المطلب الأول: اسمه:

محمد (المتوكل على الله، المعتصم بالله) بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف الحسني، المالكي مذهبا الحنبلي اعتقادا: من ملوك الدولة السجلماسية العلوية بالمغرب، ومن خيار رجالها. وهو أول من اتخذ منهم (مراكش) عاصمة له، وكان في أيام أبيه أميرا عليها، وأصلح كثيرا من مبانيها. وبويع بها بعد وفاة أبيه (سنة 1171 هـ)، وكانت الدولة في اضطراب، فقام بالأعباء.[7]

المطلب الثاني: نسبه الشريف:

تنتسب الأسرة العلوية الشريفة، إلى جدها الأعلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، وجدّتها العليا فاطمة الزهراء رضي الله عنها، في سلسلة ذهبية من النسب الشريف النبيل[8].

وقصة قدوم هذه العائلة الشريفة إلى المغرب، ترجع إلى رغبة أهل سجلماسة أن يكون بينهم أحد الأشراف في سجلماسة للتبرك به، حيث لم يكن بها أحد من آل البيت؛ فاتصل وفد سجلماسة برئاسة أميرهم أبي إبراهيم، بشريف ينبع النخل، المولى قاسم بن محمد، وكان من أكبر شرفاء الحجاز في وقته ديانة ووجاهة، فطلبوا منه أن يرسل معهم أحد أولاده الثمانية إلى بلادهم تكريما وتشريفا لهم، فاستجاب الشيخ الشريف لطلب الوفد، واختار من أولاده من يليق بتمثيل الأخلاق النبوية والأريحية الهاشمية، في بلد إسلامي عرف بحب أهله وتمجيدهم لآل البيت رضي الله عنهم، وكان الابن المختار الذي رشحته أخلاقه الكريمة وإنسانيته المهذبة لهذه السفارة الشريفة هو مولانا الحسن الداخل، الذي رغب في السكنى9.

وكان الحسن الداخل رجلا صالحا ناسكا زاده العلم جلالة ومهابة، أحبه الناس وأكبروه واجتمعوا حوله للتبرك به والاستفادة من عمله، وقد تزوج وهو في الستين من عمره بابنة أبي إبراهيم أحد وجهاء سجلماسة رئيس الوفد الذي كان له شرف القدوم له.

وأنجب الشريف معها ولدا واحدا هو محمد الذي ورث سر أبيه في الفضل والبركة الصلاح. وأنجب محمد بن الحسن الداخل ولدا واحدا كذلك، هو الحسن الذي أنجب ولدين اثنين هما: عبدالرحمن المعروف بأبي البركات، وعلي المعروف بالشريف السجلماسي الذي برزت شخصيته في ميدان الجهاد وفي مجالات البر والإحسان، وهو عميد الأسرة العلوية المغربية الشريفة.

وعلينا أن نقول بأن الذين تسموا بعلي الشريف، ثلاثة، وجب التمييز بينهم:

الأول: الذي عرف بعلي الشريف، هو ابن الحسن بن الحسن الداخل السجلماسي الأب.

والثاني: هو علي الشريف الابن تميزا له عن علي الشريف الأب.

والثالث: هو علي الشريف بن محمد – الحفيد – وهو الثالث. وعرف بعلي الشريف المراكشي، وهو الجد الأقرب للأسرة الملكية، وضريحه في مراكش، تلقاء ضريح القاضي عياض، بنى عليه أمير المؤمنين مولاي الرشيد قبة بديعة[10].

ذكر نسبهم الشريف:

قال الإفراني في النزهة: "لابد أولا من ذكر نسبهم الشريف، وإن كان أجلى من الشمس، وأحلى من الظل الوريف، غنى واغتناء عن التعريف، فنقول: الملوك الثلاثة الأول منهم وهم مولانا محمد، ومولانا الرشيد، ومولانا إسماعيل أبناء مولانا الشريف، بن مولانا محمد، بن مولانا علي، بن مولانا يوسف، بن مولانا علي الملقب بالشريف، بن مولانا الحسن، بن مولانا محمد، بن مولانا الحسن، بن مولانا قاسم، بن مولانا محمد، بن مولانا بلقاسم، بن سيدي محمد، بن مولانا الحسن، بن مولانا عبد الله، بن مولانا أبي محمد عرفة، بن مولانا الحسن، بن مولانا أبي بكر، بن مولانا علي، بن مولانا الحسن، بن مولانا أحمد، بن مولانا إسماعيل، بن مولانا قاسم، بن مولانا محمد المدعو النفس الزكية، بن مولانا عبد الله الكامل، بن مولانا الحسن المثنى، بن مولانا الحسن السبط، بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا ذكر هذا النسب الذي هو حقيق أن يسمى سلسلة الذهب، جماعة من العلماء والأكابر كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي، والشيخ الإمام أبي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي"[11].

المبحث الثاني: مولده وصفته ونشأته:

المطلب الأول: مولده:

كانت ولادته بعاصمة جده أبي الأملاك، مكناسة الزيتون، سنة أربع وثلاثين ومائة وألف [1134هـ][12]. وأمه حرة[13]. ومن شيوخه أبو محمد عبد الله بن إدريس المنجرة والشرادي[14]، وحج قبل البلوغ مع جدته السيد خناثة المغفرية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف[15].

المطلب الثاني: صفته:

أسمر اللون تام القد، أقنى الأنف، للتمام شعر لحيته، عريض الأكتاف، واسع المنكبين، بين الكفين، صبيح الوجه، كريم اللقاء، شديد الصفح، حسن العفو، فصيحا، بليغا، أديبا، حليما، متواضعا، شفيقا، كريما، جوادا، عالما بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام، له تآليف "كالفتوحات الإلهية" وغيرها، كثير الصدقات، راعيا لأوقاته، مكرما للصلحاء وموقرا لهم، رافعا للعلماء مقربا لهم، لا يستغني عنهم ساعة ولا يتحدث إلا معهم، محبا في الطلبة، حج وهو ابن عشر سنين، وتخلف بمراكش وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبويع وهو ابن ثمان وثلاثين سنة[16].

وقال القادري في نشر المثاني في حقه: "وهو –نصره الله وأيده– في العلم بحر لا يجارى، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى. وقد جمع من دراية العلم ما تقف العلماء دونه، وتود زواهر الأفق أن تكونه، فكملت بذلك منة الله على العباد، وأحيا به الله الدين في كل الأرض والبلاد، مع فرط الكرم والجود، الذي ورثه من أصله الطاهر عن آبائه والجدود" وقال: "فهو أدام الله نصره سلطان العلماء وعالم السلاطين"[17].

وقال الزياني: "وكان رحمه الله عالي الهمة، يحب الفخر ويركب سنامه، يخاطب ملوك الأتراك مخاطبة الأكفاء، ويخاطبونه مخاطبة السيادة، ويمدهم بالأموال والهدايا، حتى علا صيته عندهم، وحسبوه أعظم منهم مالا ورجالا، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، يضع المسائل في محلها، ويعرف مناصب الرجال ويؤدي حقوقهم، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعي لأهل السبقة سوابقهم، ويتفقد أحوال خدامه في الصحة والمرض، ولا يغفل عمن عرفه قبل الملك، وكان متواضعا شاكرا لنعم الله، كلما ورد عليه فتح أو خبر يسر المسلمين يسجد في وسط المشور شكرا لله، إمام الخاصة والعامة، وكان من الشجعان المذكورين في وقته، يباشر الحروب بنفسه، ويهزم

الجيوش بهيبته، وكان ينتخب الرجال ويعدهم ليوم ما، وينادى كل واحد باسمه وقت اللقاء، ويوجه كل بطل منهم مع قبيلة وكتيبة من كتائب العسكر، ويعمل بعمل أهل السياسة في الحروب، وكان يقول إذا وجه أحدًا ممن يعرف نجدته وشجاعته، هذا البيت [رجز]:

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنا[18]"

وقال في حقه ابن زيدان في إتحاف أعلام الناس ما نصه: "الإمام الموهوب لهذه الأمة على رأس المائة مجددًا لها دينها كما ورد ذلك مرفوعا".

وقال: "كان إماما من علماء الإسلام، له تصانيف تقرأ بالمشرق والمغرب".

وقال: "وبالجملة فقد نظر في المصالح وقام بها، قياما لم يقم به أحد من أهل عصره من ملوك الإسلام، ولم يسبق إليه غيره، غير الخلفاء الراشدين"[19].

وفى الجيش العرمرم وغيره أنه كان يتخلق كثيرًا بأخلاق المنصور الذهبى السعدي ويعجبه حاله وأخباره، يتحلى بسيرته ويستحسنها ويتتبعها أكلا ولباسا، وترتيب دولة وضبط أوقات، فكانت أوقاته لا تتخلف ولا تتداخل أشغالها، وعوائده مقررة لا تنخرم على عادة المنصور الذهبي، حسبما هي مرسومة في مناهل الصفا عند الفشتالي، حتى إنه لما كان يخرج للنزهة أو للزيارة في فصل الربيع أو للصيد ... فلا ينزل إلا في منازل الذهبي التي كان ينزل فيها عند خروجه للصيد أو للزيارة بأغمات، ويقول: هذا منزل المنصور لما خرج في الوقعة الفلانية أو الغرض الفلاني، وهو أستاذنا ومقتدانا هـ[20].

ومن كل هذا تظهر لنا معالم صفات السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي جمع بين العلم والورع والملك، ساس الناس بشريعة الله، وعاش حياته منافحا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاملا لهموم الأمة سواء بالداخل أو الخارج، حريصا على مصالح العباد، حافظا لاستقرار البلد، باذلا في ذلك كل غالي ونفيس.

المطلب الثالث: نشأته:

نشأ السلطان سيدي محمد بن عبد الله في كنف جده المولى إسماعيل الذي وحد البلاد، كيف لا وهو ابن أكبر أبنائه المولى عبد الله، فنشأ في قصر جده نشأة علمية شرعية، على يد خيرة علماء عصره كما سيأتي وعلى يد جدته خناتة بنت بكار الشنقيطية[21] التي كانت عالمة بالقرآن الكريم والقراءات، والحديث الشريف، حج معها سنة 1143هـ.

وهذا هو ما قرره المؤرخون لهذه الفترة فها هو الزياني يخبر في الترجمانة الكبرى عن هذه النشأة فيقول: وإذا كان المولى محمد بن عبد الله قد ولد في عصر جده العظيم المولى إسماعيل، وقبل موته بخمس سنوات وهو الزمن الذي تتحدد فيه الشخصية، أي في أعلى أوج عظمة الحكم الذي وصله واضع أسس الدولة العلوية، وموحد تراب المغرب، بعد أخويه محمد والرشيد، فمن ذلك نستنتج طبيعة الجو الذي نشأ فيه وليد أكبر أولاد المولى إسماعيل، وهو المولى عبد الله، أحب أبنائه إلى نفسه، ولد الأمير وبلاط جده يزخر بخيرة العلماء وأنجبهم، وخيرة الأدباء وأفصحهم، بل وبلاط جده يسمو بالعلم والعرفان والقوة والسلطان، فوق كثير من بلاطات الدول المعاصرة، وكفى أن يستدل بالتنظيمات وبما كانت عليه المكتبة الملكية الإسماعيلية التي كانت تحتوي على اثني عشر ألف مجلد 12000[22].

وبقي هكذا في رعاية أبيه وجدته، ودرس العلوم، ونشأ محبا للعلم والعلماء، واتسعت معارفه مع الأيام.

وقد أتاح له التفرغ لطلب العلم أنه لم تنط به أية مسؤولية سياسية حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره.

وفي سنة تسع وخمسين ومائة وألف 1159هـ ولاه والده الإمارة على مراكش، لما رأى من نجابته وسرعة بديهته وكفاءته، قال الناصري في الاستقصا: "... وإنه قدم عليه أهل مراكش ورغبوا إليه أن يدخل حضرتهم ولم يساعده الوقت فلما عزم على القفول إلى بلاد الغرب، بعث ولده الأكبر المولى أحمد إلى رباط الفتح نائبا عنه بها وأضاف إليه قبائل الشاوية وبني حسن وما بينهما، وبعث ولده الأصغر سيدي محمدا مع أهل مراكش نائبا عنه فيها، فكان ذلك أول انغراس شجرة الملك العلوي بمراكش واتخذاها كرسيا لهم..."[23]، ولم تكن هذه المهمة لتشغل سيدي محمد بن عبد الله عن الطلب والتحصيل، فقد أكب رحمه الله مع المهمة المسندة إليه علة مطالعة كتب التاريخ والأدب والسياسة، وأحوال العرب وأيامها، قال أبو القاسم الزياني: "...وكان رحمه الله نسابة إخباريا حافظا لأيام العرب ووقائعها، حافظا السير والحديث، لا يجارى ولا يبارى، لأنه كان أيام خلافته بمراكش في حياة والده، ولع بسرد كتب التاريخ والأدب إلى أن تملى منها، وكاد أن يحفظ ما في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، من كلام العرب وأشعارها، ونوادرها وأشعار المولدين وشعراء الإسلام إلى أن تملى من ذلك[24]".

المبحث الثالث: شيوخه:

تربى السلطان سيدي محمد بن عبد الله في أحضان جده المولى إسماعيل، وقد اعتنى بتعليمه على قاعدة الملوك العلويين الذين يولون العلم اهتماما كبيرا؛ فكان أول من أخذ عنه جدته السيدة خناتة بنت بكار التي رضع منها صحيح العلم والمعرفة المؤصلة، ولما بلغ التاسعة من عمره صاحب جدته المذكورة لما توجهت للديار المقدسة لأداء فريضة الحج وكان دون البلوغ إذ ذاك.

وبعد الرجوع من الحجاز تابع تعلمه وممن أخذ عنهم كذلك: أبو محمد عبد الله بن إدريس المنجرة. وكان له على صغر سنه ولوع بالعلم وإقبال كبير عليه، حتى صار له باع طويل في كل فنونه العقلية والنقلية.

هذا ويمكننا أن نقسم شيوخ السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى قسمين اثنين: قسم يتعلق بمرحلة ما قبل تولي الإمارة، وقسم يتعلق بمرحلة الإمارة:

المطلب الأول: قسم مرحلة ما قبل الإمارة:

- أبو محمد بن عبد الله بن إدريس المنجرة[25]:

ذكر الزياني في الترجمانة الكبرى: "أن سيدي محمد بن عبد الله ولد وتربى في بلاط جده الذي يزخر بالعلماء، وخيرة الأدباء، بل وبلاط جده يسمو بالعلم والعرفان والقوة والسلطان، فوق كثير من بلاطات الدول المعاصرة، وكفى أن يستدل بالتنظيمات وبما كانت عليه المكتبة الملكية الإسماعيلية التي كانت تحوي على اثنتي عشر ألف مجلد 12000 قبل عهد الطباعة... وفي هذا الجو ولد الأمير الذي وجهة له عناية لم يسبق أن وجهة لمثله، ذلك أنه فتح عينيه على معلم كفء وقدير هو أبو محمد بن عبد الله بن إدريس المنجرة، مضاف إليه ما وجد في والد أبيه التي تولت تربيته والعناية به، وهي ربة الدار، السيدة الفاضلة القانتة خناتة بنت بكار... التي أصبح الأمير الصغير جزءا من حياتها، بل استولى على كل اهتمامها"[26].

وهكذا يمكننا أن نقول إن السلطان سيدي محمد بن عبد الله ولد ونشأ في أوج عظمة الحكم العلوي، ونشأ بين خيرة العلماء والأدباء الذين كان يزخر بهم البلاط الإسماعيلي. فمن ذلك نستنتج طبيعة الجو الذي نشأ فيه وليد أكبر أولاد المولى إسماعيل وهو المولى عبد الله أحب أبنائه إلى نفسه.

- أبو العباس الشرادي[27]:

كما كان من الشيوخ البارزين الذين أثروا في هذا العلم في هذه المرحلة، الشيخ الرباني أبو العباس الشرادي الزراري القضاعي الذي يروي عن أبي علي اليوسي والمرسلي التمكروني وغيرهم، أخذ عنه السلطان أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله أوراد الشاذلية وغيرها من كتب السنة الموطأ والسنن وغيرها[28].

المطلب الثاني: قسم مرحلة ما بعد الإمارة.

وفي سنة إحدى وسبعين ومائة وألف 1171هـ، بويع ملكا للمغرب بعد وفاة والده، وكان عمره آنذاك سبع وثلاثين 37 سنة، وعلى عظم وخطورة المسؤولية التي تكلف بها، فإنه استمر على عادته في الأخذ عن أهل العلم ومذاكرتهم، بل كان من أول الأعمال التي قام بها بمجرد بيعته ودخوله إلى فاس، هو اتصاله بأهل العلم، وتقريبهم وإكرامهم، ذكر الناصري في الاستقصا في خبر بيعته: "...ودخل فاسا الجديد فصلى به الجمعة، ثم جلس لفقهاء الوقت وسأل عنهم واحدا واحدا حتى عرفهم[29]".

وبالرجوع إلى كتب التاريخ من أمثال الترجمانة الكبرى وتاريخ الضعيف وأكنسوس والاستقصا وغيرها، نجد أنه وقع تحول كبير في المنحى العلمي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله بعد توليه الخلافة، فبينما كان قبل بيعته مولعا بكتب: التاريخ والأدب ونحوها كما ذكرنا سالفا، اشتغل بعد توليه الخلافة بكتب الحديث والسيرة، قال أبو القاسم الزياني في الترجمانة الكبرى: "... ولما قلده الله أمر المسلمين بعد موت والده، ترك ذلك وولع بسرد كتب السيرة والحديث، وجلب المحدثين من فاس ومكناس، وأنقلهم إلى مراكش:

- كالعلامة الشريف مولاي عبد الله المنجرة.
- وأخوه مولاي عبد الرحمن المنجرة[30].
- والسيد محمد بن عبد الرحمن[31].
- والسيد أحمد بن عثمان[32].
- والسيد محمد ابن الشاهد[33].
- والسيد الطاهر السلاوي[34].
- والسيد الطاهر بن عبد السلام[35].

وكلهم فرقهم على مساجد مراكش لتدريس العلم ويحضرون مجلسه بعد صلاة الجمعة للمذاكرة في الحديث، إلى أن صار يؤلف فيه على مقتضى غرضه، وعين لذلك من يستخرج له ما يريد[36]".

فظهر من خلال هذا النص أن هؤلاء المذكورين آنفا هم من شيوخه بعد توليه مقاليد الحكم.

كما أنني بصدد الرجوع لكتب التراجم للترجمة لهؤلاء الأفاضل تحصلت على مجموعة أخرى من العلماء الذين كانوا من خاصته، بل منهم من ذكر في ترجمته أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله جلس إليه وأخذ عنه، بعد اختباره وامتحانه في شتى العلوم، نذكر منهم على سبيل المثال:

- أبو عبد الله الغربي الرباطي[37].
- محمد بن المير السلاوي[38].
- محمد الكامل الرشيدي[39].
- عبد الرحمن بوخريص[40].

ولا يعني هذا أنه لم يكن له اشتغال بالحديث والسيرة قبل بيعته، فمعلوم أن طبيعة التعليم كانت تقتضي البدء بحفظ القرآن الكريم ثم يثني بالحديث وغيرها من متون الفقه، قبل أن يتجه إلى نوع معين من الدراسة، كيف لا ومعلمته الأولى خناتة بنت بكار وهي العارفة بالقرآآت السبع والعالمة بالحديث والسنة والدليل على هذا الذي ذكرناه مسألتين:

الأولى: ما ذكر في تحلية جدته في صدد التعريف بها، وبتعليقاتها على كتاب ابن حجر الإصابة.

الثانية: ما ذكره الزياني في فهرسة السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله الموسومة بـ "جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان"، من أسانيده لكتب الحديث يرويها المولى سليمان عن أبيه المولى محمد بن عبد الله عن الشرادي.

لكن المقصود هنا أن سيدي محمد بن عبد الله اتجه إلى هذا النوع من الدراسة، بعد توليه الخلافة، اتجاه تخصص وتفرغ، وهذا يبين لنا جليا بعض معالم دولته رحمه الله التي أراد لها أن تنبني على أسس وثيقة قائمة على الكتاب والسنة، كأهم مصدرين للتشريع الإسلامي.

ولم يكتف السلطان سيدي محمد بن عبد الله من العكوف بنفسه على كتب الحديث والتفسير بل وجه عناية أبنائه كذلك لها، فها هو الزياني يخبرنا بذلك بقوله: "لما بلغه أن ولده مولاي علي الخليفة بفاس رحمه الله اعتنى بسرد كتب التاريخ والأدب، أمره أن يبعث له بما عنده منها بفاس، فوجهها له وجمع ما عنده هو منها بمراكش، إلى أن اجتمعت عنده عدة نسخ، من ابن خلدون، وابن خلكان، وقلائد العقيان، والأغاني، ونفح الطيب، وتآليف ابن الخطيب، وملأ منها صناديق وجهها مع الكاتب الصنهاجي، يوقف بعضها بمصر، وبعضها بالإسكندرية، وكتب لولده علي يقول: إن كتب التاريخ والأدب، هي آخر ما يقرأ، فإن اشتغلت بها أتلفت دينك وقراءتك، ووقع لك ما وقع لي، فقد شغلت نفسي أيام الشباب، وتركت القرآن والتفسير والحديث، حتى حصلت الندامة، فإياك ثم إياك، ان تعمل عملي فتكون مثلي، فتشبه بمن هو أعلى منك ولا تتشبه بمن ماثلك أو أدنى منك، فتعلو همتك كما قيل - الرجز -

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ××× إن الشبه بالكرام رباح"[41].

قلت: من خلال هذا النص نستطيع أن نستشف أمورا مهمة منها:

1. يقين السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن ترتيب العلوم يبدأ بالقرآن وما يتعلق به من قراءات وتفسير وناسخ ومنسوخ وغيرها، ثم السنة وما يتعلق بها من علوم الرواية والدراية ثم غيرها من العلوم.
2. أن المشتغل بالقرآن والسنة مقدم على غيره في المرتبة.
3. أن تقديم الأدب والتاريخ على القرآن وعلومه والسنة وعلومها فيه تضييع للعمر فيما لا يفيد.
4. أن أصحاب الهمة العالية هم من اشتغل بالقرآن والسنة.
5. نعت المشتغلين بالقرآن والسنة بالكرام والحث على الاقتداء بهم.

وهكذا انصرف المولى محمد بن عبد الله إلى دراسة الحديث النبوي فأخذ يطالع كتبه بفهم وتعمق، وصار لا شغل له بغيرها في أوقات فراغه من أعماله، فحصلت له بذلك ملكة في السنة وأحكامها[42].

ولم يكتف السلطان سيدي محمد بن عبد الله بما هو موجود من كتب السنة، بل حرص على استجلاب الكتب من البلدان الأخرى، ومن ذلك ما أورده الزياني في الترجمانة لما تحدث عن رحلته لإصطنبول عام1200هـ: "ولما قضيت الغرض واشتريت الكتب التي أوصاني بشرائها أمير المؤمنين وهو مسند أبي حنيفة النعمان، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، والطريقة المحمدية المختصرة من الإحياء، اقتصر فيها على ما هو مشهور، وبين أعلام الدنيا يدور، وأعطاني الوزير الأعظم اختصار المواهب الأربع في سفر، وتأليف الدرر المتداول عندهم في الفقه الحنفي كخليل عند المالكية، وشرحه المسمى الغرر على الدرر في سفرين كالزرقاني[43]".

قلت إن استجلاب هذه الكتب الحديثية المذكورة ليس بغرض أنها غير موجودة إنما بغرض إدخال نسخ وروايات جديدة قد تكون فيها بعض الفوائد الإضافية، أما هذه الكتب فقد رويت بأسانيد صحيحة إلى مؤلفيها رحمهم الله، كما يدل على ما قلناه أن السلطان سيدي محمد بن عبدالله اعتمد في كتابه الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية، على هذه الكتب المذكورة (مسند أبي حنيفة، ومسند أحمد، ومسند الشافعي)، وكان الفراغ من هذا الكتاب عام 1198هـ[44]. أي قبل رحلة الزياني المذكورة.

كما كان السلطان سيدي محمد بن عبدالله يخصص أوقاتا محددة لمدارسة الحديث وفقهه من ذلك ما أورده ابن زيدان في إتحاف أعلام الناس: "ورتب أوقاتا لسرد الأحاديث النبوية والتفهم في معانيها مع قادة علماء وقته وضبطها ضبطا محكما لا يكاد يتخلف وقت منها، وانتقى جماعة من أعيان فحول علماء دولته لسمره ومجالسته، فكان يملي عليهم الحديث النبوي ويؤلفونه على مقتضى ما يشير عليهم به، منهم العلامة الحجة أبو عبد الله محمد بن أحمد الغربي الرباطي، وأبو عبد الله محمد بن المير السلوى، وأبو عبد الله محمد الكامل الراشدى، وأبو زيد عبد القادر بوخريص[45]، ومحمد بن عبد الصادق[46]، وأبو الحسن علي بن أيويس الفيلالى[47]، وأبو محمد عبد السلام بن يعزى حركات السلوي48، هؤلاء هم المخصوصون من أهل مجلسه بالتأليف والدراسة والخوض في جمع ما يملي عليهم، ويأمر بتدوينه طبق ما يريد.[49]" فهؤلاء المشايخ المذكورون هم أيضا من مشايخ المذاكرة والتأليف عند السلطان سيدي محمد بن عبدالله رحمه الله.

المبحث الرابع: محبته للعلم والعلماء:

لقد كان أبرز ما أثنى به المؤرخون على السلطان سيدي محمد بن عبد الله، اهتمامه بالعلم والعلماء، فها هو ابن زيدان يخبرنا في إتحافه: "أنه رحمه الله كان له اعتناء بالغ بالمطالعة والبحث ومجالسة العلماء، حتى أنه من فرط ذكائه وقوة حافظته واستيعابه صار نسابة عالما بالتاريخ وعلوم اللغة العربية، لا يخفى عليه منها شيء، بل إنه كان يحفظ كتاب الأغاني الذي ضم أغلب شواهد اللغة وأشعار العرب، ثم انتقل بعد ذلك أي بعد توليه للخلافة إلى سرد كتب الحديث ومدارستها، بل والتأليف في الحديث.[50]

المبحث الخامس: وفاته:

كما أن لكل بداية نهاية، فإن نهاية العصر المشرق للملك المجدد سيدي محمد بن عبد الله كانت بموته، يخبرنا المؤرخون لهذه المرحلة أنه رحمه الله لما وصل ولده يزيد من المشرق واعتصم بضريح سيدي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم خوفا من السلطان، راسله هذا الأخير أن يأتيه وقد أمنه على حياته، لكنه خاف من بطش أبيه وبقي معتصما بمكانه فآثر السلطان الخروج بنفسه إليه. وهذا ما أورده الناصري في كتابه الاستقصا فيقول: "لما اعْتصمَ الْمولى يزِيد بضريح الشَّيْخ عبد السَّلَام بن مشيش رَضِي الله عَنهُ ... نَهَضَ إِلَيْهِ من مراكش وَأَرَادَ أَن يحضر عِنْده بِنَفسِهِ لَعَلَّه تسكن نَفسه وَيذْهب مَا بصدره من الْجزع والنفرة وَكَانَ عِنْد خُرُوجه من مراكش بِهِ مرض خَفِيف فَتحمل الْمَشَقَّة وجد السّير فتزايد بِهِ الْمَرَض في الطريق ومات قريبا من الرباط [51]".

الفصل الثاني: مظاهر النهضة الحديثية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي(ت1204هـ).

إن الحركة العلمية في العصر العلوي، امتازة بكثرة العلوم المختلفة خصوصا في عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وذلك راجع بالأساس، لاهتمام السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالعلم والعلماء، وليقينه التام أن السبيل الوحيد لتحقيق نهضة حقيقية ولتحقيق خلافة الله في الرض لا يتأتى إلا بالعلم، ومن ثم فإننا نجد أمامنا في هذه الفترة جمهرة كبيرة من العلماء البارزين، الذين امتازوا في شتى العلوم، ولهذا كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يستدعي هؤلاء العلماء لمجالسه، سواء في عاصمته مراكش أو باقي المدن التي كان يحل بها في تنقله بين أطراف وطنه من مثل فاس ومكناس وسلا والرباط وغيرها.

هذا وأناقش هذا الفصل في المباحث التالية:

المبحث الأول: محبة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لمجالس العلم والعلماء –خصوصا المحدثين منهم–.

المبحث الثاني: اهتمامه بجلب كتب الحديث.

المبحث الثالث: تأسيس المجالس الحديثية.

المبحث الرابع: نشاط حركة التأليف الحديثي.

المبحث الأول: محبة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لمجالس العلم والعلماء –خصوصا المحدثين منهم–.

إن النشأة العلمية التي نشأها السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان لها بالغ الأثر على محبته للعلم والعلماء، وهذا ما أكده جل المؤرخين.

فها هو ابن زيدان يخبرنا في أعلامه: "رتب أوقاتا لسرد الأحاديث النبوية والتفهم في معانيها مع قادة علماء وقته، وضبطها ضبطا محكما لا يكاد يتخلف وقت منها، وانتقى جماعة من أعيان فحول علماء دولته لسمره ومجالسته، فكان يملي عليهم الحديث النبوي ويؤلفونه على مقتضى ما يشير عليهم به[52]. وقد أشرت إلى هذا بتفصيل في الفصل السابق، ولعمري لهذا أفضل ما تصرف فيه الأعمار، فعن أبي حنيفة، قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: "لولا أن أضع وجهي لله، أو يخرج مني نسمة تسبح لله، أو أجلس مع قوم يتخيرون الكلام كما نتخير جيد التمر ما باليت لو مت"[53].

المبحث الثاني: اهتمامه بجلب كتب الحديث.

إن فرط اهتمام السلطان سيدي محمد بن عبد الله وولعه بكتب الحديث، جعله يبحث على النسخ الجديدة منها، فها هو الزياني يخبرنا عن رحلته إلى إسطنبول وجلبه لبعض نسخ كتب الحديث بأمر من السلطان، فنجد يقول: "...ولما قضيت الغرض واشتريت الكتب التي أوصاني بشرائها أمير المؤمنين، وهو مسند أبي حنيفة النعمان، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد[54]، والطريقة المحمدية[55] المختصرة من الإحياء، التي اقتصر فيها على ما هو مشهور، وبين أعلام الأمة يدور، أعطاني الوزير الأعظم اختصار المواهب الأربع[56] في سفر، وكتاب الغرر[57] المتداول عندهم في الفقه الحنفي كخليل عند المالكية، وشرحه المسمى بالدرر على الغرر[58] في سفرين، كالزرقاني[59]"[60].

المبحث الثالث: تأسيس المجالس الحديثية.

إن من أجمل ما يذكر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، أنه كان له السبق في تأسيس المجالس الحديثية، في عصر العلويين، فأحيى بذلك سنة من سبقه ـ المنصور الموحدي، والمنصور السعدي ـ الذي طالما صرح السلطان أنه يقتدي به[61].

وقد أسهمت هذه المجالس الحديثية إسهاما بالغا في ازدهار علم الحديث بالمغرب، وذلك نتيجة للدعم الذي حظيت به هذه المجالس، مما دفع علماء المغرب إلى الاستزادة من الطلب والاطلاع، في سبيل تحقيق الإبداع في هذا المجال وتقديم الدرس في أبهى حلله، بالإضافة إلى تقديم الأفضل في مجالس السلطان التي كان يعقدها رحمه الله، وهو من هو في هذا المجال، فقد أسلفت الذكر أن السلطان كان كثيرا ما يلقي المسائل الغريبة على العلماء الذين يحضرون مجلسه، لتعجيزهم يريد من ذلك استخراج أفضل ما عندهم ومباسطتهم وتشجيعا لهم.

هذا وقد رتب السلطان لهذه المجالس أوقاتا محددة، لا يتخلف عنها لا في حله ولا في ترحاله، وأرى كذلك أنه تأثر بالمنصور الموحدي في هذا. فبلدنا الحبيب عرف نهضتين حديثيتين كما أسلفت القول، واحدة إبان الخلافة الموحدية[62]، والثانية إبان الخلافة العلوية، كانت بدايتها مع هذا السلطان العلم.

وكانت لهذه المجالس الحديثية التي تكون بحضرة السلطان طابع خاص، فقد كانت تبدأ في شكل حوار ومناظرة، تبدأ بسرد الأحاديث، ثم يقوم شيخ المجلس الذي عينه السلطان بالتعليق على الحديث وإسناده، ثم تبدأ المناقشة بعد ذلك لاستخراج الفوائد الفقهية والسياسية والتربوية وغيرها، وهذا ما ذكره الناصري في الاستقصا: "...هَؤُلَاءِ هم أهل مَجْلِسه الَّذين كَانُوا يسردون لَهُ كتب الحَدِيث ويخوضون فِي مَعَانِيهَا..."[63].

وقد ضمت هذه المجالس مجموعة من جلة علماء المغرب، سواء منهم الملازمين للسلطان، أو الزائرين.

فمن الملازمين نذكر على سبيل المثال: محمد بن أحمد الغربي الرباطي[64]، ومحمد المير السلاوي[65]، ومحمد الكامل الرشيدي[66]، وعبد الرحمن المنجرة[67]، وعبد الرحمن بن عبد القادر بوخريص[68]... وغيرهم.

ومن الزائرين نذكر: ذهب كل المؤرخين لهذه المرحلة أن العلماء من كل مدن المغرب كانوا يحجون لمجلس السلطان لسببين اثنين:

الأول: أن السلطان كلما حل بمدينة إلا وسأل عن علمائها بأسمائهم وقربهم، من ذلك ما ذكره الناصري في الاستقصا: "...وَدخل فاسا الْجَدِيد فصلى بِهِ الْجُمُعَة ثمَّ جلس لفقهاء الْوَقْت وَسَأَلَ عَنْهُم وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى عرفهم..."[69].

الثاني: اعتناء السلطان رحمه الله بالعلماء وتقديمهم على غيرهم وإكرامهم وخصهم بجزيل العطاء. من ذلك ما ذكره الناصري في الاستقصا: "كَانَ السُّلْطَان سَيِّدي مُحَمَّد بن عبد الله رَحمَه الله محبا لْلْعُلَمَاء وَأهل الْخَيْر مقربا لَهُم لَا يغيبون عَن مَجْلِسه فِي أَكثر الْأَوْقَات"[70].

ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا يزورون مجلسه نذكر:

من فاس: عبد الله المنجرة[71]، وإدريس العراقي[72]، ومحمد بن قاسم جسوس[73]، وعمر الفاسي[74]، والتاودي بنسودة[75]...

ومن سجلماسة: أحمد بن عبد العزيز الهلالي[76].

ومن سلا: أبو الفضل الطاهر السلاوي[77]...

وغيرهم كثير من جل مدن المغرب.

وكل هؤلاء جعلوا هذه المجالس حافلة، جامعة للعلم والفائدة، كما أن انتماء هؤلاء العلماء إلى جل مناطق المغرب يدل بلا ما يدع مجالا للشك على هذه النهضة الحديثية التي أشرت إليها.

المبحث الرابع: نشاط حركة التأليف الحديثي.

إن العناية التي أولاها السلطان سيدي محمد بن عبد الله للمجالس الحديثية كان له أثر بالغ على حركة التأليف الحديثي، سواء في مجال التأليف المستقل، أو في مجال الشروح والحواشي والمختصرات، كما أنه كان يوجه بعضهم إلى التأليف في مجال معين، ويملي على من كلفهم التعليمات التي يراها مناسبة لذلك التأليف.

ومن ذلك ما أورده ابن زيدان في إتحافه: أمره للتاودي بن سودة بشرح مؤلف الصاغاني[78] الحديثي[79]. وقد سمى كتابه هذا بـ: "شوارق الأسرار على مشارق الأنوار"[80].

كما أمره السلطان بتأليف كتاب "جامع الأمهات من أحاديث العبادات والصلوات"[81].

كما كلف غيره بأعمال أخرى سواء عن طريق العمل الفردي، أو الجماعي. من ذلك أنه كلف كلا من التاودي بن سودة، وعبد القادر بوخريص، وإدريس العراقي بشرح مشارق الأنوار للصاغاني، الجزء الأول كلف به التاودي بن سودة ـ كما ذكرت آنفا ـ، والجزء الثاني كلف به عبد القادر بوخريص، والجزء الثالث كلف به إدريس العراقي، هذا بعض ما وقفت عليه في ترجمة هؤلاء الأعلام، لما كنت بصدد البحث في تراجمهم.

أضف إلى هذا الكتب التي صنفها السلطان سيدي محمد بن عبد الله في هذا الباب سواء بشكل فردي، أو جماعي في هذا الباب، نذكر منها: كتابه الجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من أربعة مسانيد، والجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من ستة مسانيد، والفتوحات الإلهية...وغيرها.

فكان نتيجة هذا الاهتمام وجود مؤلفات يصعب حصرها في هذا المبحث، دلت بحق على هذه النهضة الحديثية.

كما لا يفوتني أن أنبه أن هذه المصنفات الحديثية، طبعت بميزة خاصة، وهي: تجريد الأحاديث من الأسانيد وأسماء الرواة، والاقتصار على ذكر الراوي الأخير ومصدر الحديث، وذلك لتسهيل قراءته، ومدارسته، لأخذ الفوائد منه، وبهذه الطريقة صنف السلطان سيدي محمد بن عبد الله كتبه في الحديث، فيقول مثلا: أخرج أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم واللفظ لمالك عن أبي هريرة، ويسوق المتن.

وبهذه الطريقة أيضا صنف التاودي بن سودة كتابه "جامع الأمهات من أحاديث العبادات والصلوات".

خاتمة:

إن للجهد الذي بذله السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالغ الأثر في عودة المجالس الحديثية إلى نظارتها كما كانت إبان عصر المنصور الموحدي، ولا زلنا نشهد هذه الاثار إلى اليوم، وهذا إن كان يدل على شيء، فإنما يدل على صدق نية السلطان سيدي محمد بن عبد الله –رحمه الله– فيما ذهب إليه، نسأل الله أن يجعل ما قام به ذخرا له عند لقاء ربه، وأن يعيننا جميعا على التمسك بكتابه وسنة نبيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الهوامش:

1 أنظر علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض، ج1 ص37 بتصرف.

2 سورة النجم، الآيتين 3 و4.

3 أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، تحت رقم 6510، 6802

4 سورة آل عمران، الآية 187.

5 أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، تحت رقم 2658، وأبو يعلى في المعجم تحت رقم 219، والطبراني في المعجم الأوسط تحت رقم 5179.

6 قال الشافعي: "ما على وجه الأرض بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك"، أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ج1 ص76.

7 الأعلام للزركلي، ج 6 ص 241

8 الدولة العلوية المغربية النشأة والاستقرار والاستمرار، محمد العربي الشاوش، دعوة الحق، العدد 273.

9 الأنوار الحسنية، لأحمد بن عبد العزيز العلوي، نشر وزارة الأنباء، ص 27 بتصرف شديد.

10 الدولة العلوية المغربية النشأة والاستقرار والاستمرار، محمد العربي الشاوش، دعوة الحق، العدد 273. بتصرف بسيط.

11 نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، لمحمد الصغير الإفراني النجار المراكشي الوجار، ص 289،290 طبع على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة أنجي سنة 1888.

12 إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابن زيدان، ج 3 ص 179.

13 تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، لمحمد الضعيف الرباطي، ص 164.

14 إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابن زيدان، ج 3 ص 179.

15 تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، لمحمد الضعيف الرباطي، ص 115.

16 نفسه ص 164.

17 نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري، ج 4، ص 129 و130 بتصرف.

18 البستان الظريف في دولة مولاي الشريف، لأبي القاسم الزياني، ص 483، 484.

19 إتحاف أعلام الناس، 3 ص 182/ 183.

20 الجيش العرمرم الخماسي، للكنسوسي، ج 1 ص 241.

21 خناثة بنت الشيخ الأكبر الأشهر بكار بن على بن عبد الله المغافرى السيدة المباركة زوج سيدنا الجد الأعظم مولانا إسماعيل سلطان المغرب، ت 1155هـ أنظر ترجمتها بتفصيل عند الزركلي في الأعلام، ج 2 ص 324، وعند ابن زيدان في إتحاف أعلام الناس، ج 3 ص 25 ترجمة رقم 137، وعند عبد الله كنون في النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1 ص 281.

22 مقدمة الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، لأبي القاسم الزياني، ص 12.

23 الاستقصا، ج7 ص 193.

24 الترجمانة الكبرى، ص63.

25 عبد الله بن إدريس المنجرة الحسني. كان عالما مدرسا انتقل من فاس إلى مراكش بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله واشتغل بالعلم هناك إلى أن توفي بها سنة 1175هـ. أنظر ترجمته إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة، ج 1 ص 15.

26 مقدمة الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، لأبي القاسم الزياني، ص 12، بتحقيق عبد الكريم الفيلالي. "هذا كلام المحقق في المقدمة"

27 هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن مبارك الشرادي الزراري القضاعي المتوفي سنة 1160هـ، أنظر ترجمته في الإعلام للمراكشي، ج 2 ص 182. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني، ج 3 ص 834، طبعة دار الغرب الإسلامي 1982م، بتحقيق إحسان عباس.

28 فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني، ج 3 ص 834، طبعة دار الغرب الإسلامي 1982م، بتحقيق إحسان عباس.

29 الاستقصا، ج7 ص 5.

30 أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العلاء إدريس المنجرة الإمام المتفنن شيخ القراء ت 1179هـ، أنظر "الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية"، لمحمد الأخضر، ص 286، و"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف، ج 1 ص 509 ترجمة رقم 1427.

31 محمد بن عبد الرحمن العمراني المراكشي، كان عالما فاضلا، مقرئا، ورد على مراكش بطلب من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فأخذ عنه السلطان المذكور بعد أن اختبره في جميع العلوم، وكان السلطان يحضر معه في مدرسة مسجد بريمة، أنظر تمام ترجمته في الإعلام ج 6 ص 90، 91.

32 هو الكاتب المشارك أبو العباس أحمد بن عثمان المكناسي كان من الرؤساء المهرة في الإنشاء والترسيل، استعمله السلطان في السفارة بينه وبين الدول، فجال في أوروبا وإفريقيا وآسيا، ت 1213هـ. أنظر "إتحاف أعلام الناس"، ج 4 ص 192 ترجمة رقم 266.

33 محمد بن الشاهد العلمي أحد العلماء المبرزين الذين نقلهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله من محل استيطانهم إلى مراكش ليكونوا من خاصته، ولتدريس العلم بها ت 1200هـ أنظر "إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع" ج 1 ص 61. و"إتحاف أعلام الناس" ج 3 ص 219.

34 هو العلامة الفاضل، والكاتب الكامل، البليغ الأريب أبو عبد الله محمد الطاهر بن عبد السلام السلاوي كان من أماجد أهل عصره، كان له اتصال وثيق بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله، وهو من الفقهاء الذين كانوا يحضرون مجلسه، وأحد سفرائه للعثمانيين، ت 1180هـ انظر "الإتحاف الوجيز، تاريخ العدوتين" ص 149. 151. و "الإعلام" ج 6 ص 75.

35 هو الطاهر بن عبد السلام بناني الرباطي، قاضي الجماعة بمراكش، وأديب الوقت، بعثه المولى محمد بن عبد الله مع الأمين الخياط في مهمة للخليفة العثماني. أنظر "الإعلام" ج 3 ص 263.

36 الترجمانة الكبرى، ص 63.

37 القاضي أبو عبد الله محمد بن العلامة الإمام أحمد بن عبد الله الغربي الدكالي ثم الرباطي، من جملة جلساء السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ت 1218هـ أنظر "الاغتباط لأبي جندار" ص 134.

38 هو الإمام الهمام محمد بن الأمير السلاوي، من علماء الحضرة السلطانية الذين كانوا يؤلفون الحديث على مقتضى إشارة أمير المؤمنين، ت 1214هـ أو 1220هـ أنظر "الإعلام" ج 6 ص 161.

39 الفقيه الأجل محمد الكامل الرشيدي هو كذلك من العلماء المجالسين للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، أنظر "الإعلام" ج 6 ص162.

40 الإمام العلم الفقيه سيدي عبد الرحمن بوخريص أحد خاصة السلطان سيدي محمد بن عبد الله. أنظر "الإعلام" ج 8 ص 122.

41 الترجمانة، ص 64.

42 المحدثون في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله، لأحمد العمراني، ص 429.

43 الترجمانة الكبرى، ص 126 و127.

44 أنظر إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان ج 3 ص 417.

45 أبو محمد عبد القادر بن العربي بن عبد العزيز بوخريص الفيلالي الكاملي، قاضي فاس مدة ثلاثين سنة، كان علامة مشاركا، مدرسا مطلعا، كان من خاصة مشايخ السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ت 1188هـ. أنظر "إتحاف المطالع" ج 1 ص 37.

46 محمد بن عبد الصادق الدكالي فقيه مالكي من رجال الإفتاء بفاس، ت 1175هـ أنظر "الإعلام للزركلي"، ج 6 ص 208.

47 أيويس، فقيه علامة، مفتي ورد على فاس بعد العشرة السادسة، ت 1170هـ. أنظر "نشر المثاني"، ج 4 ص 249.

48 عبد السلام بن أبي يعزى حركات السلاوي، آية محكمة في الحفظ والإدراك وجودة التعبير، واسع العارضة، فقيه نوازلي، مفت مرجوع له، علامة جليل، محقق لبيب ألمعي، كان من خاصة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ت بعد 1218هـ بسلا. أنظر "إتحاف أعلام الناس"، ج 5 ص 425. 428.

49 إتحاف أعلام الناس، ج 3 ص 219.

50 إتحاف أعلام الناس، ج 3 ص 218 و219. بتصرف شديد.

51 الاستقصا، ج 8 ص 65. ـ بتصرف ـ

52 إتحاف أعلام الناس، ج3 ص 219

53 أخرجه القاضي أبو يوسف في الآثار، باب الغزو والجيش، تحت رقم 948.

54 كل هذه الكتب يرويها علماء المغرب بأسانيد صحيحة مليحة إلى أصحابها، لذلك فجلب السلطان لهذه الكتب ليس لأنها غير موجودة وإنما لإغناء المكتبة بالنسخ الجديدة عل في بعضها إفادة أو زيادة.

55 كتاب: الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، للشيخ محمد بير علي البركوي ت 981هـ، مطبوع بتحقيق: محمد رحمة الله حافظ الندوي، ط دار القلم دمشق 2011م.

56 اختصار المواهب الأربع، مخطوط يضم مختصرات المذاهب الأربع: المختصر للقدوري ت 428هـ في الفقه الحنفي، ومختصر خليل ت 749هـ في الفقه المالكي، والمنهاج للنووي ت 679هـ في الفقه الشافعي، وزاد المستقنع للحجاوي ت 968هـ في الفقه الحنبلي.

57 المقصود: غرر الأحكام. لم اعثر عليه وإنما تمت الإشارة إليه في شرحه "درر الحكام شرح غرر الأحكام".

58 المقصود: دررالحكام شرح غرر الأحكام، لخسرو ت 885هـ، مطبوع من لدن دار إحياء الكتب العربية، من دون تحقيق، ومن دون سنة النشر.

59 المقصود: شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل، لعبد الباقي الزرقاني، تحقيق عبد السلام محمد أمين، ط. دار الكتب العلمية، سنة 2002م، في 8 أجزاء

60 الترجمانة الكبرى، للزياني، ص 126 ـ 127.

61 أقصد هنا "المنصور السعدي".

62 أنظر مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي، لعبد الهادي أحمد الحسيسن، مطابع الشويخ، 1983.

63 الاستقصا، للناصري، ج 3 ص 66.

64 القاضي أبو عبد الله محمد بن العلامة الإمام أحمد بن عبد الله الغربي الدكالي ثم الرباطي، من جملة جلساء السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ت 1218هـ أنظر "الاغتباط لأبي جندار" ص 134.

65 هو الإمام الهمام محمد بن الأمير السلاوي، من علماء الحضرة السلطانية الذين كانوا يؤلفون الحديث على مقتضى إشارة أمير المؤمنين، ت 1214هـ أو 1220هـ أنظر "الإعلام" ج 6 ص 161.

66 الفقيه الأجل المحدث محمد الكامل الرشيدي هو كذلك من العلماء المجالسين للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، أنظر "الإعلام" ج 6 ص162.

67 أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العلاء إدريس المنجرة الإمام المتفنن شيخ القراء ت 1179هـ، أنظر "الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية"، لمحمد الأخضر، ص 286، و"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف، ج 1 ص 509 ترجمة رقم 1427.

68 الإمام العلم الفقيه سيدي عبد الرحمن بوخريص أحد خاصة السلطان سيدي محمد بن عبد الله. أنظر "الإعلام" ج 8 ص 122.

69 الاستقصا، للناصري، ج 8، ص 5.

70 الاستقصا، للناصري، ج 8، ص 66.

71 عبد الله بن إدريس المنجرة الحسني. كان عالما مدرسا انتقل من فاس إلى مراكش بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله واشتغل بالعلم هناك إلى أن توفي بها سنة 1175هـ. أنظر ترجمته إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة، ج 1 ص 15.

72 إدريس بن محمد بن إدريس بن حمدون بن عبد الرحمن أبو العلاء الشريف الحسيني العراقي، الحافظ الحجة الإمام المحدث المشارك الشهير آخر من خدم الحديث على طريقة حفاظه، من أهل فاس له كتب عدة أهمها شرح الشمائل، والدرر اللوامع في الكلام على أحاديث جمع الجوامع الكبير وغيرها، ت 1183هـ. أنظر الأعلام للزركلي ج 1، ص 280. وإتحاف المطالع ج 1 ص 30.

73 محمد–فتحا–بن قاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الله جسوس، من أولاد جسوس المعروفين بفاس. الشيخ الشهير، والعلامة الكبير، ملحق الأحفاد بالأجداد، شيخ الجماعة في وقته. له تآليف عديدة كلها مفيدة، منها شرح على مختصر خليل في ثمانية أسفار ضخام؛ وشرح على الرسالة؛ وشرح على الشمائل مشهور متداول؛ وشرح على الحكم العطائية؛ وفهرسة في أشياخه، إلى غير ذلك ت 1182هـ. أنظر الأعلام للزركلي ج 2، ص 120. وإتحاف المطالع، ج 1 ص 28.

74 عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف، أبو حفص الفهري الفاسي: فقيه مالكي، من أهل فاس مولدا ووفاة، كان يستنبط الأحكام على طريقة المجتهدين. ت 1188هـ. أنظر الأعلام للزركلي ج 5، ص53. وإتحاف المطالع ج 1 ص 37.

75 هو الإمام العلامة السيد التاودي بن سودة المري الفاسي، خاتمة الشيوخ بفاس، لم يبق أحد بالمغرب ينتمي إلى العلم إلا وله عليه منّة، إما أخذ عنه مباشرة أو بواسطة أحد تلامذته، صاحب الحاشية على البخاري، وغير ذلك من التآليف المفيدة، ت 1209هـ. أنظر الاستقصا، للناصري، ج 8 ص 96. وإتحاف المطالع، ج 1 ص 78.

76 الشيخ الإمام، علم الأعلام، أحمد بن عبد العزيز الهلالي، آخر حفاظ المغرب، المشارك المطلع النفاعة. له شرح على مختصر الشيخ خليل وإضاءة الأدموس في معرفة اصطلاح القاموس، وغيرها، ت 1175هـ. أنظر إتحاف المطالع، ج 1، ص 15.

77 الطاهر بن علي بن عبد السلام السلاوي، أديب مشارك، وشاعر مجيد، ت 1190هـ. أنظر إتحاف المطالع، ج 1 ص 41.

78 المقصود مشارق الأنوار للصاغاني.

79 إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان، ج 3، ص 218.

80 لا يزال مخطوطا لحد الآن، وقفت على نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 415 ك.

81 طبع في جزئين بتحقيق الدكتور عبد المجيد خيالي. ط دار الكتب العلمية، بدون سنة النشر، عندي منه نسخة في مكتبتي الخاصة، وهذا الكتاب يتناول جمع متون الحديث الخاصة بالعبادات، ويشمل الأركان الخمسة سوى الشهادتين، وهي الصلاة ويبدأها بالطهارة لأنها لا تجوز إلا بها، ثم الزكاة، والصيام، وأخيرا الحج.